

كيف طارت مني أكسفورد

تركت دارى منقبض النفس تملكنى حيرة... على أن أدبج الساعة مقالاً أشغل به المكان المخصص لى فى الصحيفه الأسبوعيه التى أعمل بها ، وكنت أحس كأن رأسى قد أجذب ، وأن أجعبتى قد خوت... وسرت فى الطريق قاصداً مقر الصحيفه ، وأنا أتمثل رئيس التحرير ومساعديه ، كأنهم زبانيه ينتظرون مقدمى ليثلقوا بى فى قاع جهنم... ومررت عفواً بـ « بار الفؤاد » ملتقى الطبقة الراقية من سرة أمس الدابر ، والطبقة غير الراقية من أثرياء الحرب المحذئين... فتلكأت أطلع إلى الوجوه فإذا بى أتبين بينها وجه صديقى عاطف بك فألفيت قدى تقودانى إليه ، فلما رآنى هس لى وبس ، ودعانى إلى مجلسه ، فقلت وأنا أهزّ يده محميا :

سامك معك لحظات قليلة أستمتع فيها بك ، فإنى مرتبط بموعده لا بد لى من المضى إليه .

فقرّب منى مقعداً ، وقال :

— اجلس تثرث وقتاً ، ونعرف ما عندك من جديد الأخبار .
وسرعان ما طلب إلى غلام الحانة أن يحضر لى كأساً من الويسكى... وبعد هنيهة وجدت عاطف بك يقدم لى شخصاً عن كُتب منه قائلاً :

— سعادة عبد المولى بك السيوطى .

فانتهت ، فألفيت شخصاً ضخماً الجثة ، سمين الرقبة كأنها جذع شجرة ، يتناثر شاربه على جوانب فمه غزيراً مهوشاً كأنه الحسك الشائك . فأما وجهه فكان مفرطحاً قانى الحمرة يمثل فى ملامحه الشوهاء أحد تلك الوجوه المفزعة التى تتخذ فى محافل التنكر .

وسمعت صديقى يقدمنى إليه قائلاً :

— أخونا الأستاذ غندور ، صحفى كبير...

كيف طارت من أكسفورد

- فا كاد يبلغ سمع جليسننا السيوطى كلمة « صحفى » حتى تقلقت أركانه فى مجلسه ، ورمق صديقى بنظرة نكراء ، وصاح مُغضباً متحشرج الصوت :
- ألم أحرّم عليك أن تعرفنى بهذا الصنّف من مخلوقات الله ؟
- فتضاحك الصديق ملء شديه ، وقال :
- أخونا غندور صحفى حقّاً ، ولكنه ليس طويل اللسان !
- فصحت على الأثر :
- كيف واللسان بضاعتى ورأس مالى ؟
- وأقبلت على السيوطى الثائر أقور :
- إبنى أضع خبرتى رهن مشيئتك !
- فللم السيوطى أنحاء جسمه على مقعده وانقرجت أساريره شيئاً ، وقال فى غممة :
- يغنيننا الله عن خدماتك .
- وقدمَ غلام الحانة بالويسكى ، فجرعت من الكأس جرعة وافية وأنا أقول للسيوطى :
- على أية حال لا أتأخر عن خدمتك عند الحاجة . . . واطمئن الآن ، فلن تضيق بمجلسى طويلاً . . . لقد أرف موعدى .
- وتناولت الكأس فجرعت منه أيضاً ، وأحسست نزعة إلى معاتبة وجيه أسيوط ، باتخاذ تلك الحاجة الأصلية فى نفوسنا نحن رعايا صاحبة الجلالة الصحافة ، فواجهته بإبتسامة مصنوعة ، وقلت :
- سعادة البك يكره الصحفيين .
- فتجشأ بقوله :
- أكرههم كراهة الموت !
- أليس ثمة من سبب ؟
- بسبب أو بلاسبب . . . إبنى أكرههم لله فى الله . . . أنا حرّ فيما أحب وما أكره !
- إبنى صحفى ويحق لى أن أعرف سبب كرهك لزملائى فى المهنة . . . ربما استطعت تحويلك عن رأيك .
- هيهات !

كيف طارت متي اكسفورد

وملاً من قنينة البراندى أمامه كأساً ، فقذف في فمه بما فيها دفعة واحدة ، وراح يمسح شاربه المنتفش ، ويبذل جهد الطاقة في إخضاع شُعبه الشائكة . ثم ملاً كأساً أخرى قذف بما فيها كما فعل بالكأس الأولى ، فازداد احتقان ذلك الوجه الشائه ، واتقدت جذوتاه عينية . ورأيت صديقى عاطف بك يضرب كتِفَ السيوطى مداعباً وهو يقول فى إلحاح :

— ناشدتك الله إلا أخبرتنا لم تكره رجال الصحافة ؟

فترأخى وجهه أسيوط على كرسيه ، فأحسست كأن ضخامته تفيض متدفقة على جوانب المقعد ، وقال فى غير مبالاة :

— إنها لحادثة قديمة وقعت منذ خمسة وعشرين عاماً ، فى أعقاب الحرب العالمية السابقة . . .

فقلت له وأنا أنظر إلى الكأس متشاغلاً بما فى قرارها :

— لقد مضت حِقبة طويلة تغير فيها كل شىء ياسعادة البك حتى

الصحفيون . . . إن طراز سنة ١٩٢٠ قد حل محله الآن طراز أرقى وأحسن . . . أهم ما يمتاز به طراز سنة ١٩٤٦ هو السرعة والأمانة ، وحفظ العهد ، وصيانة الأسرار .

والنتفش شاربُ السيوطى ، فأخذ يقرض أطرافه بأسنانه الصفراء النخرة . وقال :

— أتقول حقاً ؟ إن صديقى الصحفي الذى وقعت لى معه تلك الواقعة

لم يكن حازراً لأية صفة من هذه الصفات التى تذكرها الآن . . . لا حياً الله ذكراه ،

فقال له صديقى عاطف بك :

— بالله عليك أخبرنا ، ماذا كان موقف هذا الصحفي منك ؟ . . .

والنتفت إلى قائله :

— إن عبد المولى بك محدث خلاب الحديث ساحر الدُعابة سلس الكلام ،

قلّ أن يكون له فى هذا الباب نظير . . .

فتضحك وجهه أسيوط تضحكاً اهتز له كرسيه وترجّج . ثم ملاً من

قنينة البراندى كأسه ، وصبها فى فمه ، ثم تمكّن فى مجلسه ، وقال فى تعالٍ وهو يطم أنفاظه مطاً :

— إليكما قصتي . . . وإني أدع لك أيها الصحفي أن تحكم على زميلك بما يليه عليك ضميرك . . .

كنت وقتئذ طالباً في مدرسة المروءة الثانوية بالقاهرة أعيش في مَثوى « بنسيون » عيشاً هادئاً لا غبار عليه . وكان والدي يعيش في أسيوط يدير أعماله وأملاكه . وقد وعدني إذا نلت الشهادة الثانوية وحسن سلوكي أن يرسلني إلى أكسفورد لإتمام دراستي هناك ، فخرصت على أن أنال رضاه لأحقق حلمي الكبير في الارتحال إلى إنجلترا والاستمتاع بما فيها من مجالي الحياة الرفيعة والعيش البهيج ، فأقبلت على دروسى وسلكت مسلك الاستقامة ، ولكنى بليت بصداقة شخص صحفي من أمثالك ، غرني ما أبداه لى من مودة وصفاء ، فتمكنت بيننا الألفة ، وتلازمتنا نقضى معاً بعض السهرات . ولما كان الراتب الذى يبعث إلى به أبى كل شهر محدوداً كما هو الشأن مع الطلاب ، فقد توافقنا أنا وهذا الشخص الصحفي على أن نتناوب الإيفاق فى ليالى السهر . . . ولبئنا على تلك الحال قوريرى العين ناعمى البال ، حتى حدث أصيل يوم أن كنت أقطع شارع توفيق فاذا بى أرى صديقى الصحفي يواجهنى ، وبعد ان تطارحنا التحيات قال لى :

— إلى أين ؟

— إلى مَثوى : البنسيون . . .

— هكذا مبكراً ؟

— بى صداع . . . أرغب فى الراحة .

— وأنا أيضاً بى مثل ما بك . . . تعال نشرب كأساً تشفيننا من الصداع .

لن أؤخرك عن الاستمتاع براحتك . . . إنهم ينتظروننى فى الصحيفة لأكتب لهم مقالاً . . .

وطرقنا أول حانة مررنا بها فى الطريق ، وكانت الحانات قد تكاثرت فى ذلك الزمن كما تكاثرت فى هذه السنوات . . . وانتحينا جانباً ، وكان بالحانة بعض نفر من رجال الجيش الأجانب لم يعيرونا أى اهتمام . . . وشربنا كأساً بعد كأس ، ونحن نتجاذب أطراف الأحاديث . ولما حان وقت دفع الحساب ألفتى صديقى يتلكأ ويتغاضى ، فقلت له :

— ألم يحن وقت الانصراف ؟

- كما تحب . . .
- ولكن . . . الحساب ؟
- الحساب ؟ . . . عليك أن تدفع هذه المرة !
- فصحت به وأنا واثق مما أقول : . . .
- بل عليك أنت . . .
- أوكد لك . . . أن . . .
- إنك تغالط . . .
- بل أنت المغالط . . .
- ونهضنا ، كلانا يرمق صاحبه كما تتراعى الدئكة بنظراتها ، وهي على اهبة العراك !
- ومكثنا كذلك لحظة ، ثم صاح صديقي :
- نحن مختلفان . . . فليكن الحكم للقرعة !
- وكنا نلجأ إلى هذا الأسلوب كلما نشبَ بيننا الخلاف على مثل تلك الحال .
- فأجرينا القرعة ، فكانت الواقعة على الصديق ، فأخذ يهرش رأسه وقال متلعثماً :
- أرجو أن تدفع هذه المرة عنى . . . وسيكون ديناً على . . .
- فحدقت فيه محنقاً أدمدم ، فبادرني بقوله :
- حقيقة الأمر أنه ليس معى نقود . . . إني راجع من سباق الخيل حيث سلبنى الحصان « كحيان » كل ما ملكت يداى . . . أقسم لك على ذلك !
- فحظت عيناى ، وقلت صائحاً :
- وأنا أيضاً ليس معى نقود . . . أقسم لك على ذلك !
- كيف ؟ أخسرت مثلى نقودك فى حلبة السباق !
- فخفضت من بصرى ، وهرشت رأسى هامساً :
- بل فى حلبة سباق آخر . . . فى منزل صاحبك الست نعمات !
- فانفجر صديقى يقهقه وهو يقول :
- لم تخسر شيئاً وحق السماء ، وإنما ربحت كل شىء !
- لا يحتمل الموقف أى مزاح . . . السنيا فى ورطة ؟ ما العمل ؟
- فقال عابثاً بكلماته :
- أية ورطة ؟ لا شىء !

- إن الأمر جد
- المسألة هينة يا صديقي . . . إنها لا تخرج عن شيئين : إما أن نأكل « علقه » من صاحب الحانة وبطائه ، وإما أن نقضى ليلة على الأسفلت في قصر البوليس . . . وإذا أسعدنا الحظ نعمنا بالأميرين معاً !
- وأخذت تتوارد في خاطري مشاهد مختلفة : هراوة صاحب الحانة ، رجال الشرطة ، الأسفلت ، وجه والدى العبوس يزفر ويصيح بجملمته المعهودة :
- لن تفلح أبداً . . . أخلق شاربي إذا أفلحت !
- فصحت مضطرباً واحفأً :
- كلا . . . كلا . . .
- وضرب صديقي المنضدة بيده ، ورفع هامته يقول :
- وجدت لمشكلتك حلاً
- على به . . . أدركنى
- فخدق في وجهى وقال :
- أن نعاود الشراب في إسراف !
- فرفعت يدي كأني أهم بلكمه ، فأزل يدي في هدوء ، وقال :
- لا تبتس . . . فرج الله قريب !
- وسمعته ينادى غلام الحانة طالباً كأساً بعده كأس ، ولما ألفتانى صامتاً لا أمد إلى كأسى يداً وكزنى في جنبى ، وقال :
- إن سلوكك هذا لن يغير من الموقف شيئاً . . . العلقه تنتظرنا . . .
- والأسفلت مُعدٌّ لاستقبالنا . . . فلماذا تحرم نفسك الاستمتاع بهذه الفرصة الذهبية ؟
- فسرت القشعريرة في جسدى ، وتراءى لى شارب والدى يتراقص غضباً على شفقيه الغليظتين . ودفع صديقي بالكأس في يدي وهو يقول :
- إشرب . . . اشرب . . . لك الساعة التى أنت فيها . . . !
- فصبيت الكأس في فمى دفعة واحدة ، وانطلقنا نشرب دون وعى ، وإذا بنا تتداول احاديث لا نلوى على شىء ، فأسمعنى صديقى الكثير من النوادر والحكايات والنكات ، ورويت له أنا أشتاتاً من حوادث وقعت لى أو لبعض أهلى ما ظهر منها وما بطن . . . وتعالى ضحكاتنا ونجنى لا زرعى للوقت حساباً

وبدأ غلام الحانة يحوم حولنا ، وهو يقرب فينا نظر المستريب ، فكنا نزعجه عنا كل مرة بمطلب جديد ولحنا نحن بعض جيراننا من رواد الحانة يتأيلون على المقاعد لا يعون . فهمس صديقي في أذني : « قتلنا »
— لو كنت ممن منحهم الله خفة اليد وجراءة النفس لنشلت محفظة ذلك الضابط تنتشلنا من هذه الورطة التي نعانها . . . إن الاصل لجدير بالتمجيد في مثل هذا الموقف ! . . . إنه بطل !

واندفع يتحدث في فلسفة السرقة ، وما يمتاز به الاصل من جسارة جديرة بالأكبار . . . فضربت كتفه بيدي ، وقلت :
— لا تلق للأمر بالا . . . فرج الله قريب !

واستأنفنا الضحك والقهقهة وتبادل النكات والنوادر وأخلاق الأحاديث . واسترعت انتباه صديقي حكاية كنت أرويها له ، فجعل يستريدني ويستوضحني في شأنها ، فلم أبخل عليه بشيء من خفاياها ، ورأيته ينهض وهو يقول لي :
تأذن لي أن أخول بنفسى ربع ساعة إلى تلك المنضدة القريبة ؟

— ولم ؟

— أرغب في كتابة مقال الأسبوع هذه اللحظة !

— ما هذا الخلط ؟ أهذا وقته ؟

— لقد هبط على الوحي ، ولا سبيل إلى المصيان !

فاندفعت أسفه وحيه متهمكاً وقام صديقي وهو يقول :

— إذا استطعت أن أذهب بالمقالة الآن إلى إدارة الصحيفة تفحوني ثمنها

فوراً . . . وفي ذلك انفراج الأزمة !

وانتقل صديقي إلى المنضدة القريبة ، وشرع يجرى قلمه ، وكنت أرقبه مهتماً

وغلام الحانة يكثر من تحويمه حولنا ومحاصرته إيانا بالنظر الشرر . . .

وبعد فترة رجع صديقي إلى ، وقال :

— أحسب أني دبحت قطعة طريفة أناب عليها . . . ولكن عليك أن تسام

في عملي . . .

— أنا ؟

— أنت ! . . . ليس عليك إلا أن توقع في ذيل هذا المقال بالجملة الآتية :

« أدليت بهذه المعلومات بمحض اختياري ولا مانع عندي من نشرها » . . .

— فقط ؟

— فقط !

وتناولت ثمالة الكأس ، ثم أسرعت إلى القلم فأجريته بتلك الجملة التي أملاها عليّ وأنا أبعث بالضحكات تتوالى ، دون أن أقرأ من المقالة أى حرف
واندفع صديقي صوب الباب مهرولاً ، فأمسكت بطرف سترته ، وقد لمحت في رأسي فكرة راعني . فقلت له :

— أما إذا كانت هذه حيلة للهرب تتركني بها أنام على الأسفلت وحيداً .
فقاطعني وقد رفع هامته في عزة وأنفة بقوله :

— أقسم بشرفي لأعودن إليك بالنقود ، أو لأشاركك في مرقدك الوثير
على الأسفلت !

ومرق كالسهم ، وعدت إلى مجلسي وقد اشتدت رقابة الغلام لي ، فأخذ يساراً صاحب الحانة ، وشغلاً معاً بأمرى ، وضرباً عليّ نطقاً من حصار منيع
وأخذ رواد الحانة ينصرفون حتى خلا منهم المكان وبدأ الوقت يتناقل في سيره وأنا أتكلف ضبط النفس وأتظاهر بعدم المبالاة يالها من لحظات رازحة فادحة أطارت ما في رأسي من نشوة الحمز وتكاثر الرقباء من أتباع الحانة يحيطون بي من كل ناحية ، واستحكم الحصار من كل جانب وأخذ جيبني يتفصد عرقاً بارداً ، وبدأت الحلقة تتداني إلىّ وتضيق ، وشهدت صاحب الحانة يتقدم في جرمه الهائل بخطاه الغليظة وفي يمينه هراوة يقرع بها الأرض .
وسمعته يتحدث إلى أعوانه على الصوت كأنه يُسمعني قوله :

— إن موعد إغلاق الحانة قد حل !

وتراءى لي الأسفلت يلتمع في غمرة الظلام ، وقد تصاعدت من رطوبته الشديدة سحب كثيفة تكاد تحجب ما حولى من المشاهد ولا أدري ماذا مضى عليّ من الوقت وأنا في جلستي هذه ، وبعثة لمحت وجه صديقي يتخايل وسط هذه السحب الكثيفة وهو يلهث من الجهد والإعياء

وتبددت السحب ، فإذا بي أجد صديقي جالساً على مقعده منتفخاً في جلسته يصفق بيديه يطلب شراباً رقيقاً وانطلق يتحدث في لهجة طبيعية أحاديث تافهة . وجرع كل منا كأسه ، وصاحب الحانة وأتباعه ينظرون إلينا ذاهلين مشدوهين

وأخرج صديقي محفظته في كبرياء ، وصاح بالغلام صيحة خشنة :

— أين الحساب ؟ أسرع ، فليس لدينا وقت نضيعه في الانتظار .

فهرول إليه الغلام برقعة الحساب ، فرمى له صديقي ببضع ورقات من فئة الجنيه . . . ولما رد إليه البقية قذف له بمنحة سخية ، ولم يحرم سائر الخدم من منح مناسبة . . . ونهض فتبعته على الأثر ، ومضى متثاقل المشية ، وأتباع الحانة يوسعون له الطريق ويومئون له بالتحية البالغة . وقد كنت أنا أثناء ذلك كله واجماً تعرفوني الحيرة .

وما كدنا نبلغ الشارع ، حتى وقف صديقي قبالي ، وقال :

— لقد بقي من المبلغ الذي قبضته الساعة عشرة قروش . . . لك خمسة

منها . . . ها كها . . .

فتراميت عليه أطايقه ، وأهتف بشكره . . .

ومر أسبوع لم ألق فيه الصديق ، وكدت أنسى ما كان ليلة الحانة . وعدت إلى المنزل ذات ليلة ، فإذا بي أجد برقية من والدي تنتظرنى ، وإذا هو يطلب إلى فيها أن أوافيه من فوري في أسيوط ، فتكاثرت هواجسى واشتد قلتي ، ولعبت بي الظنون كل ملعب ، أنزلت بنا كارثة ؟ أفقدنا عزيزاً من الأسرة ؟ وفي ضحوة غد استقلت قطار الصعيد ، وقضيت ساعات السفر واجفاً مهموم الفؤاد . . . وما إن بلغت محطة أسيوط حتى هزعت إلى المنزل ، فلم يرعنى شئ . . . المنزل على حاله ، والأهل في سلامة وخير ، وأخبروني أن أبى فى حجرة مكتبه ينتظرنى ، فنشاءمت . . . لقد كانت حجرة المكتب فى عرف الأسرة كأنها قاعة المحاكمة لا يخلو فيها والدى بحببى إلا ليحاسبه ويعاقبه . . . لقد كان والدى فى هذه الحجرة يحاكم الجانى ويحكم عليه وينفذ العقوبة فيه . وعند ما كنت أسمع قول أبى :

— هاتوا الولد إلى حجرة المكتب . . .

لا يبقى عندى ريب فى أنى واقع تحت طائلة العقاب !

ولكن ماذا حدث اليوم حتى يطلبنى إلى حجرة مكتبه بهذه البرقية ؟ أى أمر جلل حفزه ؟ لا أعرف لذلك علة ولا أذكر شيئاً وقع منى يستوجب المؤاخذه !

ولم أجد مناصاً من المضى إلى لقاء أبى فى حجرة القصاص ، وقد أخذت

كيف طارت مني أكسفورد

أجنّد كل ما في طوقى من أدب ولباقة وتظرف وابتسام... واقتحمت الباب ،
ولكن نظرة واحدة أطلقها أبى فى وجهى دكت ما أعددته دكاً ولم تبق منه
باقية !
ووجدت قديمىً تخطوان نحو قصص الاتهام فى غير تلكؤ ولا مراوغة ،
وكأن هذا القفص هو الركن الأيسر من المكتب ، ورأيت والدى — على
عهده — يزحم كرسيه بحجسه الممتلىء... وبغته جلجلت جلته الخالدة :
— لن تفلح أبداً... أخلق شاربى إن أفلحت !
وكان حين نطق هذه الجملة ينتفض شاربه انتفاضاً بالغاً فى شكل بشع
مرهوب... ولطالما تمنيت على الله من قبل أن أرى الخلاق وقد أطار ذلك
الشارب العتّى ، فأما فى هذه المرة فكنت أبتهل إلى الله أن أكون أنا ذلك
الخلاق !...
ودفع والدى إلى نسخة من مجلة مصورة ، فرأيت فى الصفحة المبسوطة
منها علامة غليظة بالمداد الأحمر ، وسمعته يقول :
— ما رأيك فى هذه النكتة اللطيفة ؟
وألقيت على الصحيفة نظرة خاطفة ، فتشابكت الصور والكلمات ، فلم
أتبين منها أى شىء ، ولكنى قلت على الفور :
— نكتة لطيفة جداً...
وتصنعت الابتسام متظرفاً ، فأجابنى وهو يزأر بصوت محتبس :
— أتراها كذلك ؟
— ألم تقل حضرتك إنها نكتة لطيفة ؟
فضرب المكتب بيده ضربة كادت تهوى به ، وقال :
— غداً ستكون حبيساً فى القسم الداخلى من مدرسة أسويط لا تبرحها إلا
حين أريد... ولن أريد !... أسمعتم ؟ أفهمت ؟... أهل ! أنت لا أكسفورد ؟
لن تراها ما حييت !
فقلت وأنا فى غمرة من الدهشة والتعجب :
— فهمت...
— أخرج...
وأيقنت أن المحاكمة قد تمت ، وأن الحكم قد صدر ، وليس ثمة من استئناف ا

نفرجت أجز قدميّ إلى حجرتي ، والمجلة في يدي ، وألقيت بنفسي على المقعد وقد اعتلجت في نفسي ضروب المشاعر وتلاطمت في رأسي شتى الأفكار . . . يا للنكبة ! . . . أأقضى أيامي في مدرسة أسيوط حبيساً ؟ وفيم هذا ؟ . . . ووقعت عيني على صفحة المجلة ، فصدمتني العلامة الحمراء ، وتركز بصري في رسم هزلي تبينت فيه صورة مشوهة لأبي تمثله في لبوس المهرجين : طرطور طويل ، وسراويل فضفاضة منتفشة مُفوّفة ، وهو مائل بباب أحد المسارح وييده ناقوس يدقه قائلاً :

« هلموا . . . هلموا . . . شاهدوا الراقصة المرآكشية العالمية فاطمة الساحرة . . . نجم الشرق وعروس الأحلام ! »
وانهلتُ على المقال أقرؤه ، ونظراتي تتوالت على الجمل والسطور ، وأنفاسي تتلاحق . . . وضربت رأسي بيدي ، وقد اتقدت عيناى . . . إنها قصة مما أفضيت به إلى صديقي الصحفي ليلة الحانة ، وإنها لتتضمن حادناً لأبي حين كان يطلب العلم في فرنسا ، وقد وقع في حبال راقصة مرآكشية تدعى فاطمة الساحرة . . . وذلك أنه قبيل مرة أن يكون مهرجالها في إحدى قرى فرنسا ، فوقف أمام المسرح يجتلب لها الرواد !

وأكبر ما غاظني من هذا المقال أن الصحيفة قدمته بالعبارة التالية :
« أدلى إلينا الشاب المهذب عبد المولى السيوطي بهذه القصة الواقعية الطريفة التي كان والده يطلها ، فنشرها راجين له مستقبلاً زاهراً . . . »
وانكبت على يدي أعضها ، وخيل إلى أني لو لمحت في هذه اللحظة صديقي الصحفي لأشبعته لكاماً وركلاً ، ولمزقته إرباباً إرباباً . . .

وتراخى الوجه عبد المولى بك السيوطي في جلسته ، ومسح شاربه المنتفش ، وأرسل تجشؤة منكرة الصوت وغمغم :

— لست بمنكر أن إفضائي بهذه القصة إلى الصديق الصحفي قد أنجاني من المييت ليلة على الأسفلت . . . ولكن . . .
فقلت على الفور .

— ولكن طارت منك أكسفورد !

ونظر الوجه السيوطي في عرض النضاء نظراتٍ تائهةً ، وهو يهمهم :

— لشكداً ما جار أبى فى حكمه !

وألقيت بنظرة على ساعة معصمى ... لقد أبطأت عن موعدى فى الصحيفة
التي أعملُ بها ... إني لأتمثل رئيس التحرير ومن حوله زبائنه يرتقبون
مقدمى وهم يُكنثون لى ثورة جاححة ... إن عمال صف الحروف وقوف
ينتظرون ، وإن آلة الطبع معطلة متمهلة !

ولمعت فى خاطرى فكرة سرعان ما شملتني بفرحة جياشة ... فأمسكت
بيد صديقى ووجه أسويط وهزتها متحمساً وأنا أقول :

— أشكر لك ... أشكر لك حسن صنيعك ...
ونهضت على الفور مستأذناً ، فقال لى عبد المولى بك وعلى وجهه أمارات
التوجس والريب :

— أى صنيع تشكره لى ؟

ولم يكدم سؤاله حتى أخذ بطرف ثوبى لا يريد أن أفلت منه ... وواصل
حديثه فى شىء من الابهتاج :

— ماذا تقصيد ؟ ... يبدو أنك معترم ...

وتأتأ بكلمات تطايرت من فمه غير مبينة ...
وتضاحك عاطف بك مخاطباً عبد المولى بك :

— دعه يسترزق !

فأجابه بصوت متهدج :

— كيف يسترزق؟ على حسابى؟ والله لا أدعه يعيد المأساة ... أألذغ من
جحر الصحافة مرتين ؟

فأفلت من يده ، ووثبت إلى الطريق وثبة أبعدتني عن متناوله ، ولكنها لم
تبعد عن أذنى شنأمة ولعنائه التي كان يصبها على فى ثورة وحقق كأنها قذائف
مدفع رشاش ! ...

وجعلتُ أعدو متجهاً إلى دار الصحيفة ، وأمام عيني يرسم بخط الثلث
الكبير عنوان مقالى الذي أزمعت كتابته على الفور :

« كيف طارت منى أكسفورد ؟ »

محمود تيمور